الفيلسوف الحر

قف بالمعرة وامسح خدها التربا ... واستوح من طوّق الدنيا بما وهبا
واستوح من طبب الدنيا بحكمته ... ومن على جرحها من روحه سكبا
وسائل الحفرة المرموق جانبها ... هل تبتغي مطمحاً أو ترتجي طلبا
يا برج مفخرة الأجداث لا تهني ... ان لم تكوني لأبراج السما قطبا
فكل نجم تمنى في قرارته ... لو انه بشعاع منك قد جذبا
والملهم الحائر الجبار هل وصلت ... كف الردى بحياة بعده سببا
وهل تبدلت روحاً غير لاغبة ... أم لا تزال كأمس تشتكي اللغبا
وهل تخبرت ان لم يأل منطلق ... من حر رأيك يطوي بعدك الحقبا
أم أنت لا حقباً تدري ولا مقة ... ولا اجتواء ولا برءاً ولا وصبا
وهل تصحح في عقباك مقترح ... مما تفكرت أو حدثت او كتبا
نور لنا ، اننا في أي مدلج ... مما تشككت ان صدقاً وان كذبا

* * *

أبا العلاء ، وحق اليوم ما برحت ... صناجة الشعر تهدي المترف الطربا
يستنزل الفكر من عليا منازله ... رأس ليمسح من ذي نعمة ذنبا
وزمرة الأدب الكابي بزمرته ... تفرقت في ضلالات الهوى عصبا
تصيد الجاه والألقاب ناسية ... بأن في فكرة قدسية لقبا
من قبل الف لو انا نبتغي عظة ... وعظتنا أن نصون العلم والأدبا

* * *

على الحصير وكوز الماء يرفده ... وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
أقام بالضجة الدنيا وأقعدها ... شيخ أطل عليها مشفقاً حدبا

بكى لأوجاع ماضيها وحاضرهـا ... وشام مستقبلاً منها ومرتقبـا
وللكآبة ألوان وأفجعهـا ... أن تبصر الفيلسوف الحر مكتئبا
تناول الرث من طبع ومصطلح ... بالنقد لا يتأبى أية شجبا
وألهم الناس كي يرضوا مغبتهم ... أن يوسعوا العقل ميداناً ومضطربا
وان يمدوا به في كل مطرح ... وان سقوا من جناه الويل والحربا
لثورة الفكر تاريخ يحدثنـا ... بأن الف مسيح دونهـا صلبـا
ان الذي ألهب الأفلاك مقوله ... والدهر لا رغبـاً يرجو ولا رهبا
لم ينس ان تشمل الأنعام رحمته ... ولا الطيور ولا أفراخهـا الزغبـا
حنا على كل مغصوب فضمده ... وشج من كان ، ايا كان ، مغتصبا

* * *

سل المقادير هل لا زلت سادرة ... أم أنت خجلى لمـا أرهقته نصبا
وهل تعمدت ان أعطيت سائبة ... هذا الذي من عظيم مثله سلبا
هـذا الضيـاء الذي يهدي لمكنه ... لصاً ويرشد أعمى تنفث العطبا
فان فخرت بما عوضت من هبة ... فقد جنيت بمـا حملته العصبـا

* * *

تلمس الحسن لم يمدد بمبصرة ... ولا امترى درة منهـا ولا حلبـا
ولا تناول من ألوانهـا صوراً ... يصد مبتعد منهن مقتربا
لكن بأوسع من آفاقهـا أمداً ... رحباً ، وأرهف منها جانباً وشبا
بعاطف يتبنى كل معتلج ... خفاقـه ويزكيه إذا انتسبا
وحاضن فزع الأطياف أنزلهـا ... شعافه وحباهـا معقلاً أشبا
أهوى على كوة في وجهـه قدر ... فسد بالظلمـة الثقبين فاحتجبا
وقال للعاطفات العاصفات به ... الآن فالتمسي من حكمـه هربا
الآن يشرب ما عتقت لا طفحاً ... يخشى على خاطر منه ولا حببا
الآن قولي اذا استوحشت خافقة ... هذا البصير يرينا آية عجبا
هـذا البصير يرينا بين مندرس ... رث المعالم ، هذا المرتع الخصبا
زنجية الليل تروي كيف قلدهـا ... في عرسها غرر الأشعار لا الشهبا

لعل بين العمى في ليل غربته وبين فحمتها من الفة نسبا
وساهر البرق والسمار يوقظهم بالجزع يخفق من ذكراه مضطربا
والفجر لو لم يلذ بالصبح يشربه من المطايا ظماء شرعاً شربا
والصبح ما زال مصفراً لمقرنه في الحسن بالليل يزجي نحوه العتبا

* * *

يا عارياً من نتاج الحب تكرمة وناسجاً عفة ابراده القشبا
نعوا عليك ، وأنت النور ، فلسفة سوداء لا لذة تبغي ولا طربا
وحملوك ، وأنت النار ، لاهبة وزر الذي لا يحس الحب ملتهبا
لا موجة الصدر بالنهدين تدفعه ولا يشق طريقاً في الهوى سربا
ولا تدغدغ منه لذة حلماً بل لا يطيق حديث اللذة العذبا
حاشاك ، انك اذكى في الهوى نفساً سمحاً وأسلس منهم جانباً رطبا
لا اكذبنك ان الحب متهم بالجور يأخذ منا فوق ما وهبا
كم شيع الأدب المفجوع محتضراً لدى العيون وعند الصدر محتسبا
صرعى نشاوى بأن الخود لعبتهم حتى اذا استيقظوا كانوا هم اللعبا
ارتهم خير مافي السحر من بدء واضمرت شر ما قد أضمرت عقبا
عانى لظى الحب بشار وعصبته فهل سوى أنهم كانوا لها حطبا
وهل سوى أنهم راحوا وقد نذروا للحب ما لم يجب منهم وما وجبا
هل كنت تخلد اذ ذابوا واذ غبروا لو لم ترض من جماح النفس ما صعبا
تأبى انحلالاً رسالات مقدسة جاءت تقوّم هذا العالم الخربا

* * *

يا حافر النبع مزهواً بقوته وناصراً في مجالي ضعفه الغربا
وشاجب الموت من هذا باسهمه ومستمداً لهذا ظله الرحبا
ومحرج الموسر الطاغي بنعمته ان يشرك المعسر الخاوي بما نهبا
والتاج اذ تتحدى رأس حامله بأي حق واجماع به اعتصبا
وهؤلاء الدعاة العاكفون على أوهامهم ، صنم يهدونه القربا

الخابطون حياة الناس قد مسخوا ما سن شرع وما بالفطرة اكتسبا
والحاكمون بما توحي مطامعهم مؤولين عليها الجد واللعبا
ما كان أي ضلال جالباً أبداً هذا الشقاء الذي باسم الهدى جلبا
على الجلود من التدليس مدرعة وفي العيون بريق يخطف الذهبا
اجلت فيك من الميزات خالدة حرية الفكر والحرمان والغضبا
مجموعة قد وجدناهن مفردة لدى سواك فما أغنيننا اربا
فرب ثاقب رأي حط فكرته غم فسف وغطى نورها فخبا
وأثقلت متع الدنيا قوادمه فما ارتقى صعداً حتى دنى صببا
بدا له الحق عرياناً فلم يره ولاح مقتل ذي بغي فما ضربا
وان صدقت فما في الناس مرتكب مثل الأديب أعان الجور فارتكبا
هذا اليراع شواظ الحق ارهفه سيفاً وخانع رأي رده خشبا
ورب راض من الحرمان قسمته فبرر الصبر والحرمان والسغبا
أرضى ، وان لم يشأ ، أطماع طاغية وحال دون سواد الشعب ان يثبا
وعوض الناس عن ذل ومتربة من القناعة كنزاً مائجاً ذهبا
جيش من المثل الدنيا يمد به ذوو المواهب جيش القوة اللجبا
آمنت بالله والنور الذي رسمت به الشرائع غراً منهجاً لحبا
وصنت كل دعاة الحق عن زيغ والمصلحين الهداة العجم والعربا
وقد حمدت شفيعاً لي على رشدي أماً وجدت على الاسلام لي وأبا
لكن بي جنفاً عن وعي فلسفة تقضي بأن البرايا صنفت رتبا
وأن من حكمة أن يجتني الرطبا فرد بجهد الوف تعلك الكربا (١)

محمد مهدي الجواهري

(١) نقلت هذه القصيدة عن بعض الصحف لأن صاحبها لم يبعث بها الى المجمع